

لقد كان الذي خفته أن يكون،
وسقط الجميع في فخ الخطاب الأيديولوجي

أسبوعية تصدر عن أمانة الإعلام في المؤتمر الوطني اللبناني وتوزع على الإنترنت: <http://www.lebanon-world.org>

موقف الأسبوع



الفكر الرهينة

لقد حدث في لبنان ما كنا نخشى حدوثه بعد أن خُطف الخطاب الأيديولوجي الفكر اللبناني الحرّ، وأخضعه لقواعد التجدين، حتى أصبح يقبل بما يُفرض عليه دون اعتراض، ويتبناه باسم الواقعية هرباً من الالتزام بقواعد المنطق ومبادئ الحقّ والعدالة والجمال. ومع مرور الوقت خسر حسّه النقدي، فصار بيغائي المنهج، يكرّر ما يسمع ويطور سلوكاً أقرب إلى ردود فعل الآلة المبرمجة منه إلى سلوك الإنسان المبني على الاختيار الإرادي. إنّ هذه العوائق التي أصابت الفكر، لم يكن حصولها ممكناً، لولا الخضوع المطلق لمشينة الاحتلال وإرهابه الذي فرض الرقابة على مختلف القطاعات الفكرية المنتجة والناشرة، وأكمل الطوق بحظر دخول الكتب والمنشورات التي تتعارض مع الأيديولوجية السورية الستالينية. وبهذه الطريقة ضُمّ لبنان إلى قافلة نادي الدرجة الثانية للدول المتخلفة فكرياً وسياسياً وحقوقياً وإنسانياً. أقول من الدرجة الثانية، لأن لبنان ليس فقط متخلفاً بل أصبح جرماً في فلك دولة متخلفة.

ومن الطبيعي أن يفرض الخطاب السياسي، كلمات وشعارات تعبّر عن الالتزام بالفكر الواحد، وتعتبر مقياساً للانصياع لمشينة الموجه، بصرف النظر عن صحة التعبير والنتائج السيئة المترتبة على التضليل الحاصل والفوضى الفكرية المتلازمة معه. وهكذا يفقد المجتمع تدريجياً قدرته على المقاومة، وينطلق في مسار انحداري، فينتقل من مرحلة الرفض المطلق للحالة الشاذة إلى مرحلة النقد الخجول، ثم إلى القبول، فالصمت والخضوع. وعند بلوغ هذا الوضع حدّه الأدنى، يدخل الإنسان حالة العبودية بفقدانه شجاعة الإصغاء إلى ما ينقض هذا الوضع، لا بل إنه يتطوع أحياناً للدفاع عنه مغفلاً جنبه أو مصلحته بقناعة وهمية. ولربما يعود ذلك أيضاً إلى الخوف من المسؤولية المتلازمة مع الحرية.

لذلك نرفض رفضاً قاطعاً الخطاب الأيديولوجي، ونؤكد لجميع اللبنانيين، بأننا سنمارس حقنا المطلق بالتعبير، بالطريقة التي نشاء وبالتعبير التي نشاء، عندما ندلي برأينا حول أيّ موضوع كان... ونرفض أيّ تعبير مفروض وأيّ معتقد مسبق، وأيّ شكل من أشكال الهيمنة من أيّ جهة أتى، وندعو الجميع إلى التصرف بالمثل عندما يبدون رأيهم، على أن نلتزم جميعاً بالدفاع عن استقلال وسيادة وحرية الشعب اللبناني والمحافظة على سلامة الأرض ووحدة الشعب ومساعدة المؤسسات للقيام بمهامها.

كما نتوجه، وبكلّ محبة، إلى أشقائنا العرب بصورة عامّة، وإلى إخواننا السوريين بصورة خاصة، ونقول لهم بالأبواب ما لا يلتزم به ملوكهم ورؤسائهم سواء كان ذلك بالتعبير أو بالموقف. فقليل من الحشمة لدى البعض، وقليل من الشجاعة لدى البعض الآخر، هو لمصلحة الجميع.

العماد ميشال عون